لَـوْ جَـادَتِ الـدُّنْـيَـا فَـدَتْـكَ بِـأَهْـلِـهَـا
أَوْ جَـاهَـدَتْ كُـتِـبَـتْ عَـلَـيْـكَ حَـبِـيـسَـا(١)

ألا أذّن

قال وقد أذن المؤذن فوضع سيف الدولة الكأس من يده:

[الوافر]

أَلَا أَذِّنْ فَـمَـا أَذْكَـرْتَ نَـاسِـي
وَلَا لَـيَّـنْـتَ قَـلْـبـاً وَهْـوَ قَـاسِ(٢)
وَلَا شُـغِـلَ الأمِـيـرُ عَـنِ الـمَـعَـالِـي
وَلَا عَـنْ حَـقِّ خَـالِـقِـهِ بِـكَـاسِ(٣)

يقلُّ له القيام

دسّ إليه الأسود من قال له قد طال قيامك في مجلس كافور، يريد أن يعلم ما في نفسه له فقال ارتجالاً:

[الوافر]

يَـقِـلُّ لَـهُ الْـقِـيَـامُ عَـلَـى الـرُّؤُوسِ
وَبَـذْلُ الـمُـكْـرَمَـاتِ مِـنَ الـنُّـفُـوسِ(٤)

(١) الحبيس: الموقوف لغير المسلمين. وتأييداً لموقف الممدوح الذي كان يقوم بالدفاع عن تخوم المسلمين في الثغور؛ فلو كان الخلود لأبقت الدنيا على ممدوحه وفدته بسائر الناس لأهميته للمسلمين، وحتى لو جاهدت وحصلت على الغنائم لقصرتها عليه دون سواه لأحقيته بذلك.

(٢) ورد البيت في: شرح شواهد شروح الألفية، للعيني ٤: ٤٥٨. يُخاطب الشاعر المؤذن الذي رفع صوته بالنداء، بأنه لم يذكّر ناسياً، فهو يُحافظ على الصلاة في أوقاتها، وليس بحاجة إلى من يُذكره بذلك، لأنه مؤمن، يخشع قلبه لذكر اللّه تعالى، لشدّة شعوره بالوقوف بين يدي خالقه.

(٣) يردّ الشاعر على المؤذّن بأن ممدوحه لا تشغله سفاسف الأمور؛ إنه مجرّد كأس ملئت خمرة، لا يشغله عن واجبه نحو خالقه كما أنه لا يُنسيه ما خلق لأجله السعي لبلوغ أعلى مراتب المجد، وهو ليس كغيره ممن يُضيعون أوقاتهم بلا فائدة تعود عليهم وعلى أمتهم بالخير العظيم.

(٤) ما يُقدمه الشاعر لممدوحه، مهما يكن عظيماً، فهو نزر قليل بحقّه، فهو جدير بتقديم =

إِذَا خَـانَـتْـهُ فِـي يَـوْمٍ ضَـحُـوكِ
فَـكَـيْـفَ تَـكُـونُ فِـي يَـوْمٍ عَـبُـوسِ(١)

أنوك من عبد ومن عرسه

وخرج من عنده يوماً فقال:

[السريع]

أَنْـوَكُ مِـنْ عَـبْـدٍ وَمِـنْ عِـرْسِـهِ
مَـنْ حَـكَّـمَ الْـعَـبْـدَ عَـلَـى نَـفْـسِـهِ(٢)
وَإِنَّـمَـا يُـظْـهِـرُ تَـحْـكِـيـمُـهُ
تَـحَـكُّـمَ الإِفْـسَـادِ فِـي حِـسِّـهِ(٣)
مَـا مَـنْ يَـرَى أَنَّـكَ فِـي وَعْـدِهِ
كَـمَـنْ يَـرَى أَنَّـكَ فِـي حَـبْـسِـهِ(٤)
لَا يُـنْـجِـزُ الـمِـيـعَـادَ فِـي يَـوْمِـهِ
وَلَا يَـعِـي مَـا قَـالَ فِـي أَمْـسِـهِ(٥)

= الحبّ والولاء، لذا فالرؤوس تنحني إجلالاً وتعظيماً لشخصه، ولهذا تهون النفوس فتُبذل في سبيل صونه من كلّ مكروه.

(١) والحياة يومان: يوم سعد وأمن، إنه يوم تلاقي النفوس على الودّ والحبّ، فمن يخن في يوم كهذا لا يُقدّر ولا يُؤبه له لخيانته في أيام السلم، ولهذا ففي يوم عبوس، يوم الشدّة ويوم حاجة الإنسان إلى أخيه الإنسان يتكشّف الحبّ الحقيقي والإخلاص لمن اصطنعه.

(٢) الأنوك: الأحمق. العرس: الزوج. إنه عتاب النفس، يوجهه الشاعر إلى ذاته، فقد أخطأ التقدير إذ جعل عبداً يتحكّم بمصيره فلا يُحسن التخلص من قيود المصانعة، فقد جعل عبداً أسود وزوجته يتحكّمان به، وهو الحرّ؛ وتلك مهزلة المفارقات في هذه الحياة.

(٣) وممَّا يدلّ على سوء الحكم أن الشاعر بنى حكمه على نظرة خاطئة دفعه طمعه للسير فيها فاستحكم كافور بمصيره، ولقد نتج ذلك بسبب حسّه الفاسد وعدم تقديره للعواقب.

(٤) إنه أمل بإنفاذ بوعد، أمنيّة تُسعد في حال أصبح الوعد حقيقة، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث، ذلك أن من يعد يُخلف الوعد بكيد، فإذا بالشاعر معلّق بالهواء، مرّة يُحسّ بأن الوعد قد يُصبح حقيقة ومرَّة أخرى يُحسّ بأنه مسجون لا يستطيع فكاكاً فيرحل عائداً إلى وطنه.

(٥) مشكلة الشاعر مع كافور تتمحور حول قضيتين: الأولى أنه لا يقدر على إنفاذ ما وعد =